الجمعة : 20/2/2008 الشيخ الطيب محمد خير الشعال

سلسلة أسرتي

12- ((يا أخي))

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، الحمد لله ثم الحمد لله ،الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشد هـ ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، خير نبي اجتباه ، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، ولو كره المشركون ، ولو كره من كره ، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعته.

وأذكركم بالموت:

الموت باب وكل الناس داخله يا ليت شعري بعد الباب ما الدار

ترى إلى أين سيذهب بك غدا هل ستكون من أصحاب اليمين أم أن الحال غير الحال ، أتكون

من الذين اتقوا ربهم أو أن الأمر غي الأمر ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ❋ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ الزلزلة:7-8

ثم أستفتح بالذي هو خير:

قال تعالى:

﴿....رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[الأحقاف:15]

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم:6]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع؟ حتى يسأل الرجل عن أهل بيته)) [النسائي وابن حبان]

هذه هي الخطبة الثانية عشرة في سلسلة أسرتي وقد تحدثا فيها ((لماذا هذه السلسلة)) وتحدثنا في خطبتين ((يا بني)) أب يخاطب ابنه وأمٌ تخاطب ابنها ، وخطبتين ((يا ابنتي))، وخطبتين ((يا أبتِ)) وخطبتين ((يا أمي)) و خطبتين ((يا زوجي)) و((يا زوجتي)) وعنوان خطبة اليوم : **((يا أخي.. أخ يخاطب أخاه))**

وقبل أن أفتتح الخطبة أحب أن أذكركم لماذا هذه السلسلة ؟ لماذا عقدنا أشهراً أربعة لنتحدث فيها من على هذا المنبر عن الأسرة ؟

الحرب على الإسلام أيها الإخوة الكرام مشتعلة ، حرب الصواريخ لون ، وحرب الإجتياحات لون ، لكن هناك ألواناً كثيرة أخرى.. هناك حربٌ اقتصادية ، هناك حربٌ إعلامية ، هناك حرب مياه ، هناك حرب تسلح.... وهناك حرب تربية ، هناك غزٌ تربويٌ على أسرنا.

أنت عندما تشاهد طالب مدرسةٍ في بلد إسلامي وفي مدينة تغص بالعلم والعلماء ، يضع على كتفه حقيبةً مرسومٌ عليها صورة من أسوأ ما خلق الله من الفحش من المناظر ، فإنك تدرك أن الغزو دخل على حقيبة المدرسة.

أنت عندما تفتح جهاز محمول لفتاة مسلمة من عائلة مسلمة في بلدٍ مسلم ، في مدينة مسلمة، لتشاهد في ذلك الجهاز صوراً أو رسائل من أقبح ما يذكر من كلام ، تدرك أن الغزو دخل على أجهزة الهاتف .

أنت عندما تدخل على دار لتراقب جهاز التلفاز والأقنية التي ولّف عليها هذا الجهاز ، ماذا ينظر الأب وماذا تنظر الأم وماذا ينظر الشباب والشابات .. تدرك أن الحرب مستعرة ومشتعلة .. ونحن أيها الإخوة بين أيدينا قوة كبيرة بصلتنا بالله ، وبين أيدينا قوة كبيرة بتربيتنا لأولادنا وأسرنا .

لذلك كانت هذه السلسلة ((أسرتي)) ، ما لم تحافظ أنت على أسرتك ، فلن يستطيع أحد أن يحافظ عليها ، ما لم أحافظ أنا على أسرتي فلا يستطيع امرءٌ أن يحافظ عليها.

ولئن ذهبت الأسرة ذهب المجتمع

أقول فيها:

يا أخي يا ابن أمي وأبي :

الدم الذي يجري في عروقي يجري في عروقك ، والنور الذي ينير دربي ينير في دروبك ، والملمَّات التي تُلِمُّ بي ، فإنما تُلِمُّ بي وبك ، فأنت أنا ، وأنا أنت ، يصيبني ما أصابك ويريبني ما أرابك .

أخي مراراً ما نفعتني ونفعتُك، ومراراً ما نصحتني ونصحتك ، ألسنا أخوين كاليدين تغسل إحداهما الأخرى .

وها أنا اليوم أقدم لك هدية أرجو لك فيها نفعاً ، ولي ولجميع المسلمين .

يتحدث القرآن الكريم كثيراً عن الرجال ، هذا الحديث مقسومٌ إلى قسمين :

القسم الأول : حديثٌ الذين هم أشقاء النساء .

قال تعالى في الشهادة : ﴿ **فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء**﴾

و قال تعالى : ﴿**وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ** ﴾يس:20

القسم الثاني : حديثٌ عن الرجال الذين هم صنفٌ من المؤمنين – ذكوراً أو إناثاً- لكنهم موصوفون بوصف الرجولة والبطولة والفخامة ، إن هم تحلَّوا بثلاث صفات ، أبسطها بين يديك يا أخي ، لتكون رجلاً كما أرادك القرآن .

الصفة الأولى : الثبات على الحق

قال تعالى في سورة الأحزاب :

﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ [الأحزاب:23-24]

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن انس رضي الله عنه قال : كان عمي أنس بن النضر لم يشهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبُر عليه فقال : أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غِبتُ عنه ، أما والله لئن أراني الله مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد ليرين الله ما أصنع .

قال ك فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سوم أُحدٍ من العام القابل ، فاستقبله سعد بن مالك فقال : يا أبا عمرو أين ؟ قال : واها لريح الجنة ، أجدها دون أُحد ، فقاتل حتى قُتل ، فوجدَ في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية ، فقالت عمتي الرُّبَيع بينت النضر : فما عرفتُ أخي إلا ببنانه – أطراف أصابعه – ونزلت هذه الآية ﴿ **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب:23]

وروى البيهقي وابن سعد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من أُحد مرَّ على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه فوقف عليه ودعا له وقال : لقد رأيتكَ بمكة وما بها أحدٌ أرقَّ حلة ولا أحسن لمة منك ، ثم أنت شعث الرأس في بردة .ثم تلا هذه الآية :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ [الأحزاب:23]

يا أخي :

هناك أناسٌ يعيشون ويموتون ثابتين على الحق ، لا يغيّروا ولا يبدلوا وهؤلاء هم الرجال، وهناك أناسٌ يبيعون دينهم بعرضٍ من الدنيا قليل .

فتسمع أن بائعاً يحلف اليمين تلو اليمين أنه اشترى السلعة بكذا أو أنه أعطي فيها كذا وكذا أو أنها أحسن الموجود في السوق وهو في كلِّ ذلك ليس صادق باع دينه واستخفَّ باسم ربه لأجل بضع قروش .

وتسمع أن شاباً مسلماً يصاحب فتاة لا تَحلُّ له صحبتها ، يلقاها ، يحدثها ويهاتفها ويماشيها ، يمازحها ويضاحكها ، ليا زوجين ولا عاقدين ولا أخوين ، باع دينه وعصى ربه لأجل شهوة عابرة .

وتسمع أن أباً بلغ السبعين أو أكثر يوزعُّ أملاكه وهو حيٌ على أولاده الذكور ، ليمنع البنات بعد موته من الإرث حتى لا يذهب ماله ، إلى أصهاره الغرباء عن العائلة ، باع دينه وخالف قرآنه وسنة نبيه لأجل عقله الردي.

وتسمع أن رجلاً باع بيته لأخر ، أبرما العقد واستلم العربون ، واتفقا على كلِّ التفاصيل ، والتسليم والفراغ بعد شهرين ، لكنَّ صاحب المكتب العقاري جاءه بزبون أخر دفع له زيادةً عن الأول خمس مائة ألف ليرة سورية ، فتراه ينقض عقده الأول ويتذرع بعشرات الأعذار الكاذبة ويحلف عشرات الأيمان الفاجرة ، ثم هو يبيع الدار للمشتري الثاني ، باع دينه وخالف شرعه لأجل حفنةٍ من مال .

ولئن كان القرآن الكريم سمى الثابتين على الحق رجالاً ، فانظروا ماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق التاركين للحق المائلين مع الهوى والمطامع .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بئس العبدُ عَبْد تَخَيَّل واختال ، ونَسِيَ الكبيرَ المتعال ، بئس العبدُ عبد تَجَبَّر واعتدى ، ونَسيَ الجبَّار الأعلى ، بئس العبدُ عبد سها ولها ، ونَسيَ المقابر والبِلَى، بئس العبدُ عبد عَتَا وطَغَى ، ونسَيَ المبتدأ والمنتهى ، بئس العبدُ عبد يَخْتِل الدِّين بالشهوات بئس العبدُ عبد طَمَع يقوده ، بئس العبدُ عبد هوى يُضلُّه ، بِئس العبد عبد رَغَب يُذِلُّه ». [الترمذي]

أول صفة للرجال في القرآن الثبات على الحق .

الصفة الثانية للرجال في القرآن الكريم : الطهارة

قال تعالى :

﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾التوبة:108

ولئن كانت الطهارة أيها الإخوة تتناول نظافة البدن والثوب فإنها تشمل أيضاً طهارة العقيدة والشريعة والأخلاق ، ونحن لو أردنا أن نختصر الدين الإسلامي بكلمة ، لو أردنا أن نجمع مفردات هذا الدين بكلمة ، لكانت هذه الكلمة ((**الطهارة**)) .

فالإسلام طهارةٌ في العقيدة ، طهارةٌ في الشريعة ، طهارةٌ في الأخلاق ، والمسلم طاهر العقيدة ، طاهر الشريعة ، طاهر الأخلاق .

أما طهارة العقيدة :

فإنه في غير المسلمين اليوم من يعبد البقر ، وهناك من يعبد الحجر وهناك من يعبد الشمس والقمر وهناك من يعبد الجرذان ، إن من غير المسلمين من يعبد إلهين اثنين إلهاً للشر وإلهاً للخير ، إلهاً للخصب وغلهاً للجدب ، وهناك من يعبد ثلاثة ﴿ **لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾المائدة: 73-74

وهناك من يعبد ثلاثمائة وخمساً وستين إلهاً كلَّ يوم من أيام السنة إله جديد .

أما عقيدة الإسلام فبناؤها على كلمة الإخلاص والتوحيد ((لا إله إلا الله محمد رسول الله))

هذه طهارة العقيدة أما طهارة الشريعة :

فعلاقة المرأة بالرجل في الإسلام علاقة طهارة ونظافة وعفة ووضوح وليست علاقات آثمة ولا ليالي ماجنة ولا صداقات عابرة ولا مهاتفاتٍ خافته ، وفرق كبير بين زواجٍ طاهر وبين سفاحٍ فاجر .

علاقة المسلم مع المال علاقة طهارة ، لا يأكل إلا حلالاً طيباً ، لا يبيع إلا ما فيه فائدةٌ للخلق ، يؤجر ويستأجر وينضبط بأوامر الشرع في حفظ ماله وفي عدم الاعتداء على أموال الناس.

ليس في الإسلام غشٌ ولا خداعٌ ولا تزوير ولا ربا ولا تنافس مهلك ولا امتصاص دماء الناس.

الشريعة الإسلامية طاهرة والعقيدة الإسلامية طاهرة والأخلاق الإسلامية طاهرة :

صدق وأمانة ، ووفاء واحترام وبر وتعاون وتراحم وتناصح ، الظلم ممنوع والباطل مدفوع ، والإيذاء مرفوع ، أكل مال اليتيم خطيئة ، والغيبة رديئة ، والسباب والفحش بذيئة .

هذه طهارة الأخلاق في الإسلام ، أما أخلاق الشارع فتقول :

إذا لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب ، حلال على الشاطر ، ومن لا يظلم الناس يُظلم ، الكذب ملح الرجال ... أخلاق شارع !! والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفةٍ فلعلة لم يظلم ، إي إن لم يكن فيه علل لظلم .. ثقافة شارع . و كما يذهب الناس أذهب ورائهم.

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزيةُ أَرشدُ

فالطهارة تكون بالثوب والبدن وتكون بالعقيدة والشريعة والأخلاق ، ومهما كنت ملتزماً الطهارة في أعمالك وأخلاقك وبدنك وثوبك ، فقد عدَّك الله في قرآنه رجلاً فقال ﴿ **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** ﴾ التوبة:108.

الصفة الأولى للرجال في القرآن الثبات على الحق ، الصفة الثانية للرجال الطهارة

الصفة الثالثة للرجال في القرآن الكريم : المحافظة على ذكر الله وامتثال أوامره

قال تعالى في سورة النور

﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ**

الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ النور : 36-37-38

كتب ابن قيم الجوزية في كتابه القيّم (**مدارج السالكين**) يقول :

(الذكر هي منزلة القوم الكبرى التي منها يتزودون ، وفيها يتجرون ، وإليها دائماً يترددون ، والذكر منشور الولاية ، الذي من أعطيه اتصل ، ومن مُنِعه عُزل ، وهو قوتُ قلوب القوم .. وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق)

قال الحسن البصري :

(تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء ، في الصلاة وفي الذكر وفي قراءة القرآن ، فغن وجدتم .. وإلا فاعلموا أن الباب مغلق)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« **مَثل الذي يذكر ربَّه ، والذي لا يذكر ربه: مَثلُ الحيِّ والميت**».[البخاري]

وقال الإمام الأوزاعي :

(ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهي معروضة على العبد يوم القيامة يوماً يوماً ، وساعةٌ ساعة ، فالساعة التي لا يذكر الله تعالى فيها تنقطع نفسه عليها حسرات ، فكيف إذا مرت عليه ساعة مع ساعة ويوم مع يوم)

فالرجال في القرآن لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

- تاجرٌ دمشقي اعتاد حضور مجلس علمٍ وذكر مرة في الأسبوع مع شيخه ، يقول : عشرون سنةً لم يتغيب عن مجلس الذكر والعلم ولا مرة واحدة . ﴿**رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ**﴾

- شابٌ جامعي ، ما فاتته صلاة الفجر في المسجد منذ سنوات غلا بالإضرار الشديد

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾

- حدثني ابنٌ عن أبيه : الذي جاوز الستين وله من المال الكثير ، يقول : لم يدفع أبي الزكاة في عمره كلَّه ...! أين ذهب هذا الأب من رجولة القرآن وبطولته.!؟

الرجل في القرآن الكريم لهم ثلاثة صفات :

1- الثبات على الحق

2- الطهارة

3- المحافظة على ذكر الله وامتثال أوامره

فكن يا أخي ثابتاً على الحق ، طاهراً ، ذاكراً لله تعالى ممتثلاً أمره حتى تكون من رجال القرآن.

أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين، أستغفر الله.

والحمد لله رب العالمين